العقيدة وآثارها التربوية

ذة. بهيجة بن زياد غياتي
جامعة سيدي محمد بن عبد الله –فاس
كلية الشريعة

1-مفهوم العقيدة:

إذا كانت العقيدة هي المحور الأساسي الذي تدور حوله التربية الإسلامية كما حددها منهج القرآن الكريم وأسلوبه فماذا نعني بهذا المصطلح؟

أ-العقيدة لغة: عقد لحبل نقيض حله، والبيع أو اليمين أحكمه وتعاقد القوم تعاهدوا، ومنه قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[1].

-اعتقد المال جمعه، والأمر صدقه، وعقد عليه قلبه وضميره، وتدين به.

-العقيدة ما عقد عليه القلب والضمير وما دان به الإنسان، وبهذا تكون عقيدة الإنسان مذهبه، أي ما يؤمن به ويراه[2].

ب-العقيدة اصطلاحا: هي العنصر النظري للدين وهو ما يرد باسم الإيمان في القرآن الكريم، وهي كحالة نفسية تقوم بنفس الإنسان فتوجه سلوكه، وتحكم تصرفاته، فهي عمل من أعمال الإرادة. إن العقيدة في أحدث النظريات الفلسفية والتربوية في الغرب يجب أن تنشأ في ظل الإرادة، وتبعا للرغبة، فالرغبة في شيء ما (ولا تكون هذه الرغبة إلا تبعا لغرض) هي التي توجه في العقل حوافز الاعتقاد بالكون أو الوجود حسب مقتضيات تلك الرغبة، وعلى المناهج التربوية هناك أن تيسر للعقل سبيل هذه الحوافز.

والعقيدة عندنا، وفيما تمليه علينا حقائق الإسلام نفسه يجب أن تكون الأساس المطلق للإرادة والرغبات الإنسانية على اختلافها فلا تسير الإرادة ولا تتجه

---

[1]- المائدة الآية 1 – لسان العرب ابن منظور مادة عقد.

[2]- أنظر خليل أبو العينين / فلسفة التربية في القرآن الكريم ص: 177.

الرغبة إلا تبعا لما تخطه العقيدة الحرة المطلقة. ولذلك كان عليها أن تنطلق من نقطة الصفر أو اللاشيء – كما يقرر الغزالي – ليس معها إلا عدة من العقل والمنطق المجردين، شريطة أن تتوفر فيها مقومات السلامة والكمال"[1] وما دام. في إمكان الإنسان أن يعترف ببعض المعتقدات، وما دام هذا الاعتراف، قابلا للنمو. والترقي من درجات اليقين، إلى أن يصبح أمرا مستقرا في نفسه، وعقيدة راسخة في قلبه، فإن هذا الاختيار القائم على حرية الإرادة لابد أن تكون ثمرة مجهود عقلي يبدله المعتقد في مرحلة طويلة شاقة تبدأ بالشك والتردد وتنتهي بالحزم واليقين. ويميز العقل في هذا الدور بعمليات تحليلية تقوم على التأمل، فالمقارنة فالاستنباط والاختيار، ثم تنتهي به إلى هذا المعتقد أو ذلك، وتكون العقيدة عندئذ ثمرة لعمل عقلي منظم مسبوق بالإرادة الحرة والاختيار المطلق، ومنته بالإذعان والتصديق الذين يغمران كل جوانب الفكر والنفس، ويجعلان من المبدأ أو الفكرة جزءا لا يتجزأ من هذه النفس وعلى هذا الأساس لا يمكن أن يكون الاعتقاد تلقائيا لا شعوريا يلقى القبول على غير اختيار منا، وإنما هو حينئذ أمر كسبي طارئ على النفس، وعارض لها من خارجها... إن "التعريف التقريبي للعقيدة عقلا: المعرفة النظرية العلمية في قالب نظام محكم جامع مانع شامل لقيادة الفكر وتدبير الحياة يطلق عليها عقيدة أو المذهب والعقيدة الإسلامية ترمي إلى الجمع بين التفكير والتنوير والتطهير والتحرير أي إلى جمع شتات الفكر والأعمال، في نظام نظري وعملي منسق، يشمل الحياة الباطنية والظاهرية، معا. ويراعى عالم الغيب، وعالم الشهادة على السواء، ويتصل بكل صغيرة وكبيرة في الوجود لأنه في نفس الوقت يقرأ الحساب في بناء المعرفة على (وجه الأرض) لمنبعها الأساسي وهي نور الوحي واهتداء العقل"[2].

والعقيدة الإسلامية ليست مجرد مبدأ نظري، إنما هي إيمان وهجرة وجهاد، ولذلك كان لابد أن ترسخ في نفس المؤمنين عن يقين ثابت، وللعقيدة مدلولات تربوية كثيرة، ذلك أن توحيد العقيدة هو الهدف الأسمى للتربية، ومن توحيد أهداف التربية ونظمها وطرائقها. في سبيل توحيد فكر الأفراد، وهي تعني تنمية الإنسان العابد

[1]- د. سعيد رمضان اليوطي / منهج تربوي فريد في القرآن ص: 7

[2]- د. المهدي عبود / عقيدة المستقبل ص: 11.

الصالح، عن طريق التعرف على الله سبحانه، والاتصال به والقرب منه لتحقيق هدف الإنسان في الأرض عن طريق الاستعانة بالله.

وعلى أساس هذه العقيدة تكون قيم الحياة نابعة أساسا من صفات الله، ولله المثل الأعلى، وقد جعل الله تعالى المعرفة صلة الوصل بين الإنسان وغيره وبين الإنسان وربه وقد أشار إلى ذلك في محكم كتابه من خلال أول ما نزل من القرآن "اقرأ". وهي أول كلمة ربطت الصلة بين الله تعالى وبين الإنسان.

وإذا كان القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية، فإنه قد بنى هدايته على تأصيل جوهر العقيدة من إيمان بأن لا إله إلا الله، وبأننا راجعون إليه سبحانه. ذلك "أن العقيدة في نظام الإسلام كما يتجلى ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية تتصل بجميع أجزاء هذا النظام، فهي الأساس الذي تبنى عليه نظرته أو نظامه الأخلاقي وهي التي تكون الأساس الفكري لعقلية المسلم، والأساس النفسي لسلوكه، ومنها كذلك تنبثق نظرته إلى الحياة الاقتصادية، والسياسية، وعلى أساس فلسفتها يبني نظامها. وخلاصة الأمر، أن مظمون العقيدة الإسلامية لها تأثير كبير في الحياة الإسلامية، سواء الفردية أم الاجتماعية ويلاحظ أنها تتخلل جميع سور القرآن بلا استثناء، وأنها تتخلل جميع أحكام الإسلام الأخلاقية والتشريعية. [(1)]

ولمكانة هذا العنصر في نظام الإسلام، فإن المدة التي استغرقها نزول القرآن الكريم على قلب محمد بن عبد الله ﷺ في مكة، تناول فيها هذه القضية وحدها، ولم يتعدها إلى غيرها، وما ذلك إلا لأنها كانت القضية الأساسية في هذا الدين ممثلة في قاعدتها الرئيسية:

الألوهية والربوبية [(*)] وما بينهما من علاقة.

وقد خاطب الله تعالى في محكم تنزيله، بهذه القضية الإنسان بصفة عامة لأنها قضية وجوده في هذا الكون لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول الله ﷺ،

---

[1]- محمد المبارك / نظام الإسلام العقيدة والعبادة ص: 28.

[*]-توحيد ربوبية بفعله تعالى توحيد في الخلق والفعل توحيد الألوهية توحيد الله بأفعال العباد توحيده في العبادة.

أولى خطواته في الدعوة، بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن يمضي في دعوته يعرف الناس بربهم الحق ويعبدهم له دون سواه.

ولم تكن هذه في ظاهر الأمر، وفي نظر العقل المحجوب هي أيسر السبل إلى قلوب العرب: فلقد كانوا يعرفون من لغتهم معنى إله ومعنى لا إله إلا الله، كانوا يعرفون أن الألوهية تعني ألحا كمية العليا، وكانوا يعرفون أن توحيد الألوهية، وإفراد الله سبحانه بها معناه نزع السلطان الذي يزاوله الكهان، ومشيخة القبائل والأمراء والحكام، ورده كله إلى الله... كانوا يعلمون أن "لا إله إلا الله" ثورة على السلطان الأرضي الذي يغتصب أولى خصائص الألوهية، وثورة على الأوضاع التي تقوم على قاعدة من هذا الاغتصاب... ولم يكن يغيب عن العرب – وهم يعرفون لغتهم جيدا ويعرفون المدلول الحقيقي لدعوة "لا إله إلا الله" ماذا تعنيه هذه الدعوة بالنسبة لأوضاعهم ورياستهم وسلطانهم ومن ثم استقبلوا هذه الدعوة... ذلك الاستقبال العنيف وحاربوها تلك الحرب التي يعرفها الخاص والعام[1]... إذن كان لابد أن تحدث هذه الثورة من خلال القرآن وأن تلعب العقيدة الدور البارز في تربية الإنسان المسلم، وفي تكوين شخصيته وأن تدفعه إلى أنواع من السلوك الإيجابي، بقوة وعزم وتصميم نظرا لسلطانها على الفكر والإرادة، فلم تترك لليأس بابا ينفذ منه إلى نفس القلة التي آمنت ولاقت المحن، لأن العقيدة التي استقرت في وجدانها، أخذت بمجامع القلوب وأعطتها إحساسا عميقا بأن وجودها دون عقيدة عدم، فكان لابد من التضحية بكل شيء إلا بالعقيدة.

وحرص الإسلام على إصلاح العقيدة أو بنائها جعل الشريعة الإسلامية تتميز عن القوانين الوضعية من حيث التكامل والشمول، لأن العقيدة كانت المنطلق الأول لإيجاد الفرد المؤمن القوي المتحرر عقليا من خرافات العقائد الباطلة، وإصلاح الأخلاق لأنها أهم جانب يرتبط بشخصية الإنسان، ثم تكوين الأمة التي أرادها الله تعالى أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

وبما أن القرآن الكريم إلهي المصدر، إنساني التلقي، فإنه قد راعى في توجيهاته، وتعاليمه الفطرة البشرية، وتزكية النفس الإنسانية ذلك أن الإنسان المسلم شأنه

---

[1]- سيد قطب / في ظلال القرآن م 2 ج2 تفسيره سورة الأنعام، ص: 1005.

شأن الإنسان في أي حضارة من الحضارات يتساءل عن موقعه في هذا الوجود، وعلاقته بالكون، وبما وراء الكون ومن هنا تنبثق الأسئلة البديهية التي يتساءلها الطفل عندما يحس بوجوده، ويتساءلها الكبير العاقل لما يعي نفسه... من أين جئت؟ ومن أوجدني، وأوجد هذا العالم من حولي وإلى أين أصير...؟ وهذه الأسئلة هي التي تكون المحور الأساسي للمباحث الفلسفية التي خاض فيها الفلاسفة منذ القديم إلى الآن، والقرآن الكريم يشتمل على إجابات واضحة لهذه المباحث، وهي تغني الأمة الإسلامية في باب الاعتقاد ولا تصدها عن سبيل المعرفة والتقدم، خاصة وأن المعرفة هي المقوم الأساسي لهذه الباب، والله تعالى لا يوجه خطابه فيه إلا لأولي الألباب الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض، فيستعملون عقولهم، وهي بالتالي تحقق ضرورة الاعتقاد وتمنع الضرر الذي يبتلى به من تصدهم عقائدهم عن حرية الفكر، وما يصدر عنها من انحرافات تشريعية.

والقرآن في أسلوبه التربوي هذا مصدر إقناع عقائدي للصغير والكبير، للعامي والعام على حد سواء، فما هو هذا المنهج التربوي الذي يتميز به القرآن الكريم، وما خصائصه؟

لقد عمل الرسول ﷺ جاهدا على غرس العقيدة الإسلامية أو بعثها وتربيتها في نفوس الصحابة الأوائل "لتكون أساسا متينا لتربية ربانية عميقة الأثر بعيدة المرمى واسعة الشمول"[1].

لقد قامت هذه التربية على تزكية النفس الإنسانية، عن طريق توجيه عقل الإنسان، ومشاعره ليستدل بتأمل هذا الكون، وتأمل نفسه، على وجود الخالق، وحكمته، وعنايته وعظمته، وتدبيره ورحمته بالإنسان وقدرته، ليمارس حياته على أساس محبة الخالق، والخضوع له... وهو يهدف من وراء هذا كله تحقيق مرضاة الله تعالى وحسن تحمل الأمانة التي حمله إياها أي تحقيق الخلافة على الأرض، قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

[1]- عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة/ ص: 31.

خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[1].

إن القرآن الكريم وهو يبني أو يبعث العقيدة الدينية في النفس الإنسانية عرض للأصول التي يتطلبها الإيمان الحق، والعقيدة المتينة تلك الأصول التي اجدها ملخصة في آية البر من سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[2] إنه بيان وتحقيق لأمر العقيدة، وعناصرها المركبة منها، وما ينتج عنها:

1-الإيمان بالله.

2-الإيمان باليوم الآخر.

3-الإيمان بالملائكة.

4-الإيمان بالكتاب.

5-الإيمان بالنبيين.

1-الإيمان بالله:

إن الإيمان بالله تعالى هو نقطة الدائرة في تربية الإنسان المسلم وذلك بعد أن ينطلق هذا الإنسان من المقدمات التي يوجهه إليها كتاب الله تعالى، فالقرآن الكريم حين خاطب الإنسان، ودعاه إلى هذا الإيمان، انطلق به من الكون الذي يعيش فيه،

[1]- سورة النور آية 54.

[2]- سورة البقرة الآية 176.

ومن نفسه... قال تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[1] وقال: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[2].

إن رسول الله ﷺ حين دعى إلى التوحيد كقاعدة أساسية من قواعد التربية، لم يجر على ما جرت عليه العقائد القديمة بعدما دخلها التزييف، وإنما عرفنا عن ذات الله تعالى وأفعاله بمحاسن أوصافه، التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد فهو "في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، منفرد لا ند له، وأنه واحد قديم لا أول له، أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا ينقض عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال/ وهو الأول والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم"[3]

وهو تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾[4] مبرأ عن القرين ﴿لم يكن له كفا أحد﴾[5] غير متحيز بمكان ﴿هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم﴾[6].

والدعوة إلى قضية الألوهية في القرآن الكريم تقوم على أساس اعتبار قضية وجود الله تعالى قضية محسوسة لا محل للجدل فيها، وإنما توفرت أغراض الأدلة التي وردت فيه على إثبات الوحدانية وليست الوحدانية مطلقا، بل وحدانية الألوهية، أي اعتقاد أنه لا ينبغي أن يعبد مع الله تعالى أحد سواه.

لقد كان العرب عند نزول القرآن يعترفون بوحدانية الله في ربوبيته وخلقه للكون، وحكى القرآن عنهم ذلك، في أكثر من موضع ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾[7]. ومع ذلك فإن الله تعالى قد وجه عقول البشر إلى أقرب دليل منهم على وجوده تعالى، بل وألصق دليل به، وهو

[1]- سورة الذاريات، الآية: 20.

[2]- سورة فصلت، الآية: 53.

[3]- الإمام الغزالي إحياء علوم الدين / ج: 1 ص 89.

[4]- سورة الشورى، الآية 11.

[5]- سورة الإخلاص، الآية 3.

[6]- سورة الزخرف، الآية 84.

[7]- سورة العنكبوت، الآية 61.

خلق هذا الإنسان وخلق ما حوله من عوالم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين، وأنزلنا من السماء ماءا بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون، وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين، وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة، ومنها تأكلون، وعليها وعلى الفلك تحملون﴾[1]

إن التوجيه والتذكير بخلق الإنسان لم يرد في هذه السورة وحدها وإنما تجده في جل السور القرآنية، بل إن الله تعالى قد أفرد سورة كاملة لهذا التوجيه وأسماها باسم "الإنسان" ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا...﴾ [2].

فإذا علم الإنسان أصل نشأته ومن أوجده وتعهده وهو في ظلمات الرحم حتى تم تكوينه لم يكن له ليتعجب بعد ذلك من البعث، وضرورة الإيمان به، لم يكن ليبقى له أدنى شك في أنه راجع في النهاية إلى هذا الخالق تعالى، قال تعالى: ﴿بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب، إإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الأرض منهم، وعندنا كتاب حفيظ، بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج﴾[3].

إن الإنسان يعجب من أمر البعث لجهله بهذه الحياة وحقيقة الخلق الأول ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد، ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد...﴾ [4].

---

[1]- سورة المؤمنون، الآية 11-22.

[2]- سورة الإنسان، الآية: 1-2.

[3]- سورة ق، الآية: 1-4.

[4]- سورة ق، الآية: 14-16.

فالإيمان بالله تعالى الذي يصدر عن اليقين التام بعد التفكر في عظيم صنع الخالق، ينبثق عنه بشكل تلقائي، والإيمان بمسألة البعث وقضية البعث قاعدة أساسية في العقيدة الإسلامية يقوم عليها التصور الكلي لمقتضيات هذه العقيدة.

وبعد أن يوجه الباري تعالى الإنسان إلى هذه الحقائق، حقيقة النشأة الأولى، والبعث بعد الموت فإنه يوجه فكر هذا الإنسان ونظره إلى الأكوان من حوله، قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، ونزلنا من السماء ماءا مباركا، فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد، وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين، وأنزلنا من السماء ماءا بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة، ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء، تنبت بالدهن وصبغ للآكلين، وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون﴾[2].

إن الإنسان وهو يتمعن في هذه الآيات يحس بتفتح بصيرته على آيات الله في الكون، فيستشعر وراءها يد القدرة الإلهية المبدعة "وكأننا نلاحظ أن الغاية من ذكر تلك العوالم إنما هو الوصول إلى التساؤل الهام الذي يطرح نفسه في مثل هذه الحالة..

قال تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ وقال: ﴿أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾. وقال: ﴿أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين﴾ وهنا نشعر أن القرآن يطرح أمامنا فكرة الخالق فمن خلق هذا الكون الواسع؟ ومن الذي نظم سيره وعمله

---

[1]- سورة ق، الآية: 5-11.

[2]- سورة المؤمنون، الآية: 16-22.

بشكل دقيق؟ أيمكن للعقل أن يتغاضى عن فكرة الخالق التي تفرض نفسها علينا من خلال المخلوقات التي نحسها ونشاهدها... [1].

وهكذا يرتد الإنسان إلى خالقه فيعلم أنه وحده صاحب القوة والسلطان وأنه هو وحده المالك لكل ما في الأرض بما فيها ناصية العباد ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون، ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء، ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يومنون...﴾[4]

وقال تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار، وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا، وينزل من السماء ماءا فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم

[1]- د. فاروق النبهان / مبادئ الثقافة الإسلامية/ ص: 107 ط1.

[2]- الأعراف، الآية 54.

[3]- البقرة الآية 64.

[4]- النحل الآية 78.

يعقلون، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾[1].

لما تستقر حقيقة الألوهية والربوبية في النفس الإنسانية بشكل يقيني انطلاقا من الآيات التي عرضها الله تعالى في محكم كتابه حية ناطقة، تصدق وعد الله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ لما يتبين الحق في قلب الإنسان ويطمئن إلى خالقه، الحي القهار الذي لا يعتريه عجز ولا قصور. ولا تأخذه سنة ولا نوم، ويعرف أنه المتفرد بالخلق والإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعماله وقدر أرزاقه وآجاله. يحيط علمه بما يجري في الأرض وفي السماء لا يغرب عن علمه مثقال ذرة، إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون لا معجل ولا مؤجل ولا راد لما أراد...

لما يتحقق الإنسان عن طريق كتاب الله وسنة رسوله، والانقلاب المعجز الذي أحدثاه في العالم، بأن الله تعالى هو المنفرد بالألوهية والربوبية، يكتسب الثقة التي تربطه بالله وحده فيكون غايته في كل أعماله، وأقواله وحركاته، موقنا أن أجله ورزقه وسعادته أو شقاءه بيد الله تعالى، وأن الضر والنفع لا يلحق إلا بأمره، وقد نستشف هذا من حديث المصطفى عليه السلام عندما أراد أن يثبت هذه الحقيقة في نفس ابن عباس، وهو لا يزال غلاما، قال ﷺ: "يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ اله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله...[2]" بعد هذا تصير كل تبعات هذا الإيمان سهلة التحقق يسيرة التطبيق على من وهبه معرفة ويقينا.

إن الإيمان بالله، وإن كان هو جوهر العقيدة، والبوثقة التي تصهر فيها القضايا العقدية الأخرى، والعبادات والأخلاق والتشريعات فإن هذا الإيمان لا يكتمل ولا يثمر إلا أن يتبعه الإيمان بما أمر الله من إيمان بالملائكة، والكتاب والنبيين، قضايا بديهية تأتي بعد الإيمان بالله تعالى، وإن كانت من أمور الغيب، والعقل يعجز عن إدراكها، لأنها فوق طاقته، وأنها ليست مادية، تتوصل إليها الحواس، وإنما طريقها النقل،

---

[1]- الروم الآية 19 – 25.

[2]- الشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهري / الأربعين حديثا النووية (رواية عن الترميذي ص 41، دار المعرفة).

ودعامتها الأساسية هي الإيمان بالله ورسوله المبلغ، وقد "ألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة، وأنه لا يقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت. إن الإيمان بالله تعالى الناتج عن اليقين، ثم الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره، وهو جوهر الإسلام وأساسه، وبدونه أو بنقصه لا يصح الإسلام، وبهذه العقيدة القوية تتغلغل جذور العزة في نفس المؤمن فلا يستعبده جاه ولا مال ولا سلطان.

2-الإيمان بالملائكة:

لقد خلق الله تعالى الملائكة عليهم السلام من نور وهم عباد الله المكرمون ومن أشرف خلق الله ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾[1].

وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون، ويسبحون لله أناء الليل وأناء النهار: ﴿إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾[2] وبالتدبر والتفكر نجد إن العقل لا ينفي وجود الملائكة عليهم السلام إذ هناك شواهد تدل على وجودهم وتؤكده، منها نزول الوحي على الأنبياء والرسل عن طريق الروح الأمين جبريل عليه السلام.

ومنها قبض أرواح الخلائق عند الوفاة، ومنها حفظ الناس من شرور الجن والشياطين، وليس من المقبول منطقيا التعلل بعدم رؤية الملائكة لرفض وجودهم، فكثير من الكائنات الدقيقة لا نراها بالعين المجردة، ولا تظهر إلا بعد تكبيرها وتقريبها بوسائل وأجهزة خاصة ولا يعني عدم رؤيتها عدم وجودها، ثم إن الإيمان اليقيني بالله تعالى وقدرته المطلقة، وحكمته التامة، وتدبيره المحكم يقتضي الإيمان بالملائكة، وبكل ما ورد في كتبه المنزلة وما تبث مجيئه على ألسنة أنبياءه ورسله المطهرين. وللإيمان بالملائكة آثار تربوية إيجابية بالغة الأهمية في توجيه المؤمن إلى الاقتداء بهم، والتشبه بصفاتهم، خاصة في عبادتهم لله تعالى وتقديسهم له وطاعتهم لأمره هذا

[1]- سورة الانفطار الآية 10-12.

[2]- سورة البقرة الآية 30.

فضلا عن استشعار الفرد لرقابتهم عليه مما يدعوه إلى التيقظ المستمر فيحسن العبادة، ويعمل الصالحات ويتجنب المعاصي والموبقات"[1]

ومن الملائكة من كلفه الله تعالى بحمل العرش ومنهم الموكلون بحفظ الإنسان قال تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾[2] وقال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾[3].

الإيمان بكتب الله تعالى ورسله:

ولما تذكر الكتب يقصد بها الكتب السماوية المنزلة على أنبياء الله تعالى، لا الكتب المحرفة التي دخلتها الأهواء والنزعات قال تعالى: ﴿اللهلا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه، وأنزل التوراة الإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان، إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام﴾[4] وقال: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾[5].

والإيمان بهذه الكتب وبخاصة الكتاب الخاتم الناسخ "القرآن الكريم" ليس إيمان اعتراف ثم نبذ ولكن إيمان تصديق واعتراف وإقرار ثم إتباع مناهجه وتشريعاته وأحكامه، التي ترسم المنهاج الشامل المتكامل للحياة الرشيدة التي تحقق للإنسان عزة النفس وكماله المادي والخلقي والروحي، وتصلح له دنياه التي فيها معاشه وأخرته التي فيها معاده: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[6].

[1]- عبد الحميد الصيد الزنتاني أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية / ص: 369-367.
[2]- غافر الآية 7.
[3]- الأنعام الآية 61.
[4]- آل عمران الآية 2-4.
[5]- المائدة الآية: 18.
[6]- الأنفال، الآية 23.

والإيمان بالكتب السماوية، يتبعه ضمنيا الإيمان بالرسل جميعا الذين ذكروا في كتاب الله تعالى، والذين أنزلت عليهم هذه الكتب، ثم الإيمان القطعي أن محمدا ﷺ، هو خاتم النبيين فعن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه، فأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون بهم ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[1].

ومما يعمق الأثر التربوي للإيمان بالرسول يتوقف على الإيمان بأنهم مؤيدون بالوحي، فمن حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أن أرسل إليهم لهدايتهم رسلا من أنفسهم تعلمهم الكتاب والحكمة، وترشدهم إلى ما فيه كمالهم الروحي والإنساني "ولو ترك الناس لعقولهم وحدها بدون هداية ربانية لضلوا سواء لسبيل، بانجذابهم إلى اللذائذ المادية التي تدخل عليهم المسرة الآنية، والسعادة الوقتية وتسدل على عقولهم حجاب الغفلة، وتعمي بصائرهم وتكبل أرواحهم وأجسادهم بمطالب الغرائز والشهوات فينساقون وراءها دون وعي، ويصعب عليهم الفكاك من حبائلها...

وللإيمان بالرسل والأنبياء أبلغ المؤثرات التربوية الإيجابية في شخصية المؤمن فهو يحفزه على التأسي بهم، والاهتداء بسننهم والاقتداء بأخلاقهم، واعتبارهم قدوته المثلى وأسوته الحسنة في عبادته وعمله وخلقه وسلوكه، ومواقفه، واتجهاته، ومختلف مناجي حياته وعلاقاته وارتباطاته وقيامه بواجباته وتبعاته"[2].

الإيمان باليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون، كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالخير والشر فتنة وإلينا ترجعون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام

[1]- مسلم: 15 ص 51 كتاب الفضائل ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

[2]- أسس التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 372-373.

[3]- الأنبياء، الآية 34-35.

ينظرون، وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب، وجيء بالنبيئين والشهداء، وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون، ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون...﴾[1].

فالإيمان باليوم الآخر إيمان بالنهاية الطبيعية لهذه الحياة كما يتصورها العقل الناضج الذي تفتحت بصيرته لخالق هذه الأكوان وهذه الأنفس، إنها النهاية الطبيعية والعادلة التي تستسيغها الفطرة فتستقيم معها الحياة الدنيوية قال تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾[2].

ولأهمية هذا المعتقد، ولما له من آثار في إصلاح الفرد والمجتمع نجده يتخلل الكثير من السور والآيات، بل نجده في جلها مقرونا بالإيمان بالله تعالى: ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾[3].

فالاتعاظ والاستفادة من التشريعات الربانية لا تتم ولا يعقل أن تتم إلا إذا تم الإيمان بالله أولا، ثم الإيمان بأن هناك جزاء عن هذا الاتباع في يوم لا يظلم فيه أحدا، قال تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون، وخلق الله السموات والأرض بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾[4].

فعلى أساس الإيمان باليوم الآخر يكون مدار صلاح الفرد، واستقامته في الحياة الدنيا، وتحسين خلقه، وتطهير نفسه، والسمو بها إلى مدارج الكمال، فتنبثق عن هذا الأمة الفاضلة التي تحلم بها البشرية ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ فينتفي الظلم، ويشيع العدل، ويستعيد الإنسان كرامته، ويعيش الحياة الإنسانية المكرمة

---

[1]- سورة الزمر، الآية: 66-70.

[2]- سورة الزلزلة، الآية: 6-8.

[3]- سورة الطلاق الآية: 2.

[4]- سورة الجاثية، الآية 21-22.

﴿لقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر﴾[1] وبذلك يترفع عن حياة الغاب، التي يكون البقاء فيها للأقوى.

الإيمان بالقدر خيره وشره:

إن الإيمان بالقضاء والقدر إيمان بعلم الله الأزلي لكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق، وتقدير ذلك، وكتابته في اللوح المحفوظ كما هو حين يقضي بوجوده في كميته، وصفت وزمانه ومكانه، وأسبابه ومقدماته ونتائجه، بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن إبانة، لا يتقدم عن زمانه المحدد له.

قال تعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾

وقد حرص رسول الله ﷺ على غرس هذه العقيدة في نفوس الصفوة الذين آمنوا معه، وتكون تربية لمن يليهم من الأجيال فعن ابن عباس قال: كنت خلف الرسول ﷺ يوما فقال: يا غلام إني اعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت، على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف".

وكما يجب الإيمان بقضاء الله وقدره، يجب التسليم لله تعالى فيه أنه يسير وفق إرادة الله تعالى، ومشيئته، ويقع على أساس تدبيره تعالى لملكه وخلقه.

---

[1]- الإسراء الآية 70.

[2]- التوبة الآية 51.

[3]- الحديد الآية 22.

فإذا آمن الإنسان بقضاء الله وقدره، عاش في طمأنينة نفسية لا يمكن أن توازيها أية طمأنينة يقدمها أي منهج من المناهج الوضعية سواء منها التي وضعها علماء النفس، أو علماء الاجتماع أو غيرهم لأن الله تعالى، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، فقدر له ما قدر، وفق حكمة إلهية، لا يستطيع العقل البشري إدراك كنهها. فلما يتمكن هذا الإيمان من نفس المؤمن، لا يمكن أبدا أن يذهب نفسه حسرات على ما يصيبه، بل يمضي مطمئنا، ولا يقعد عند أول عثرة أو صدمة في حياته، بل يزداد عزيمة، موقنا أن ما أصابه، لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وبذلك يتمثل قول الله تعالى: ﴿وإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[1].

فتخلو حياته من التردد والحيرة، وينتفي من حياته القلق والاضطراب، ويتزود بقوى إيمانية لمواجهة الصعاب فتصغر عنده الأمور الجسام، لأنه لا يمضي فيها إلا باستخارة الله عز وجل بعلمه واستقداره بقدرته، فعن صهيب قال: "قال رسول الله ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن، إن أصابه سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابه ضراء صبر فكان خيرا له. [2]

وبهذه التربية ينشأ المؤمن المتكامل الشخصية ذي النظرة الإيجابية للحياة، قوي الهمة والعزيمة، لا يلحقه غرور، ولا يحطمه فشل إن وجد يسرا شكر الله تعالى وواصل طريقه، وإن وجد عسرا استعان بالله وصبر على المكاره، واستمرت محاولته في تخطي الصعاب لا يقلق نفسه عن شيء من رزق ولا حياة، ولا صحة، لأنه يعلم علم اليقين أن كل هذه الأشياء، إنما هي بيد الله، وقد يقول قائل إن هذا التسليم، هو تواكل ينتج عن الضعف، والسلبية إلا أن العقل السليم المتتبع لروائع، وبطولات المؤمنين، لا يسعه إلا الإقرار بأن النخبة التي رباها الرسول الأعظم، لم تكن لتتصف بشيء من هذه الصفات، لأنها لم تقعد عن الجهاد، والحركة نحو الفتح والبناء المستمر لأنها كانت تسعى بتوكل على الله تعالى إلى تحقيق، وعد الله فيها ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من

[1]- سورة آل عمران، الآية 158.

[2]- مسلم ج: 18 ص 125 كتاب الزهد باب في أحاديث متفرقة.

قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم آمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾[1].

"إنه التوكل على الله لا التواكل عليه، التوكل الذي يشحذ العزيمة ويمنح المضاء، التوكل الذي يزيح عن القلب سم القلق المدمر المحطم للأعصاب، يزيح عن القلب التردد الناشئ عن الخوف، والقعود الناشئ من العجز عن مواجهة الأحداث، والنتائج بيد الله، والأعمار بيد الله... ففيم التردد، فيم القعود، كلا بل هي عزيمة وقوة، وانطلاق وبهذه العزيمة، وهذا الانطلاق وجدت تلك الأمة الفريدة في التاريخ، الأمة التي انتشرت في بقاع الأرض وبقاع التاريخ "خير أمة أخرجت للناس"[2].

النتائج التربوية:

مما لاشك فيه، أن للعقيدة في التربية الإسلامية، أقوى الآثار، وأهمها، فالنفس الإنسانية لما تصهر في بوثقة العقيدة، وتوقن بوجود الله تعالى، خالقا، مالكا ومدبرا، ومتصفا ومشرعا... تصدر عن هذا الإيمان، وكأنها ولدت من جديد، لا تعرف الخضوع والخنوع إلا لهذا الخالق، تتحرر من كل العبوديات إلا لله تعالى ذلك أن الإيمان بالله تعالى، هو نقطة التحول في الحياة البشرية من العبودية للقوى والاعتبارات المختلفة إلى عبودية الله وحده فتتحرر النفس، بل تتساوى كل النفوس أمام المعبود الواحد.

بعدما يتحرر الإنسان وتتحرر قواه النفسية من مختلف الأغلال البدعية يتحرر الفكر تبعا لذلك، أنه لا يبقى أسير المعتقدات المستحدثة الفاسدة المفروضة عليه، فيدرك الحقيقة العلوية بسلامة فطرته، لأن الإنسان متدين بهذه الفطرة، فتصفو نفسه وتسكن وتطمئن، فتكون العقيدة حماية لهذا الإنسان من الضياع، حيث تزكو أخلاق وتتطهر ويتحلى بالفضائل والمثل العليا، لأن الإنسان لما يصل إلى هذا المستوى يسعى إلى تطهير أعضائه وحواسه كذلك، انه يستشعر قيمة وفعالية كلمات الله تعالى لما يقول ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه

---

[1]- النور الآية: 54.

[2]- محمد قطب/ منهج التربية الإسلامية / ج 1 ص 62.

مسؤولا﴾[1] وقوله: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[2].

فيصون هذه الأعضاء والحواس عن المعاصي والفواحش، ويسخرها للعبادة والعلم والعمل، وهي كل لا يتجزأ لأن العبادة مفصولة عن العلم والعمل جوفاء لا تؤدي مهمتها، ووعد الله عز وجل بالاستخلاف لا يتحقق إلا باقتران هذه العناصر معا: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[3].

إن هذا المنهاج الذي يرسمه الله تعالى في كتابه، إنما هو منهج تربوي فريد متميز، لم يكن قط، وما شاء له منزله أن يكون مجرد نظريات، إنها نظريات سيقت على خط علمي، نظريات تحققت في حينها وإبان ظهورها، فأعطت أروع النتائج، حملت دعوة الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، فظهرت العقول والأبدان والمجتمعات. وإن المتتبع لتاريخ الدعوة الإسلامية يجد أن العقيدة كانت هي القوة الأساسية في كل المعارك التي خاضها المسلمون، والعامل الأول في انتصاراتها مع الفارق الشاسع في العدة والعدد بينها وبين الجبهات المتصدية لها وقد كانت هذه العقيدة وهذا الإيمان ذا إشعاع نفاذ منحه القرآن دفعة قوية وطاقة متحركة "... حتى إذا وهنت الدفعة القرآنية توقف العالم الإسلامي كما يتوقف المحرك عندما يستنفد آخر قطرة من الوقود..." وما كان لأي معوض زمني أن يقوم خلال التاريخ مقام المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية الا وهو "الإيمان".

إن المسلم لم يتخل مطلقا عن عقيدته، فقد ظل مؤمنا... وبعبارة أدق ظل مؤمنا متدينا ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي... فأصبحت جاذبية فردية، وصار الإيمان إما فرد متحلل من صلاته بواسطه

---

[1]- سورة الإسراء الآية 25.

[2]- سورة النور الآية 23.

[3]- سورة النور الآية: 53.

الاجتماعي.... وعليه فليست المشكلة أن تعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي... وفي كلمة واحدة إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه باعتباره مصدرا للطاقة... [1]

إن مهمة التربية العقائدية أن تجعل الأفراد يقتبسون من نور الله، وفيض صفاته، ذلك أن صفات الله تعالى هي الصلة التي تربط بين تصور القرآن للكون والحياة والإنسان، وبين قيم الحياة عقيدة وفكرا وأخلاقا، إلا أن صفات الله تعالى هي مطلقة في حقه تعالى، أما حين تنسب للإنسان فهي "نقص يتدرج نحو الكمال بقدر ما يطيق البشر، فلنأخذ مثلا صفة "العلم"، فإنها صفة مطلقة لا يصل إليها بشر ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾(النعام: 59).

فإن هذه الصفة في الإنسان يجب على التربية أن تعمل على أن تستقر ابتداء في ضمير الإنسان، إن الله العليم لا يرضي لعباده الجهل ولا يمكن أن ينال القرب منه جاهل، وحسب الإنسان أن يجعل من هذه الصفة مثلا أعلى يأخذ نصيبه منها بقدر ما يطيق، ويتدرج بالتطلع إلى هذا المثل الأعلى نحو الكمال بغير حدود، وبقدر ما يبذل من جهد، وبقدر ما يحصل عليه من علم بقدر قربه من الله تعالى، فكلما ازداد علما ازداد معرفة، وازداد قربا من الله.

وهكذا تعمل التربية العقائدية مع بقية الصفات الإلهية، وعلى هذا فإن التربية العقائدية يمكن أن تصنع هذا الإنسان صنعا عجيبا متفردا. [2]

[1]- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ص 48 ترجمة عبد الصبور شاهين.

[2]- خليل أبو العينين/ فلسفة التربية الإسلامية في القرآن ص: 181.